

لبنان : بعث الشيوعيين والقوميين السوريين؟. هل تستعاد الوحدة بين حزبي الحزب ، وأي وحدة قد تستعاد ؟ 2 من 2

حازم صاغية حازم الأمين نشر في الحياة يوم 08 - 10 - 1998

يبدو ان الحزبين السوريين القوميين الاجتماعيين، "الطوارئ" و"المجلس الأعلى"، قد باشرا منذ اواخر الربيع الماضي مفاوضات توحيدية يُفترض ان تؤدي تدريجاً الى استعادتهما حزباً واحداً.
والتقارب الحالي لئن اثار استنكار بعض الحزبيين من اقارب الضحايا الذين حصدهم رصاص الحزب الآخر، كخضر سلي... المجلس الأعلى، إلا أنه يتمتع بأسباب وجيهة حقاً، تبقى اهم من الضحايا وذويهم بما لا يُقاس.

فقد عبّد رحيل انعام رعد، ابرز رموز المجلس الأعلى ورئيسه، طريق الوحدة نظراً الى الحساسيات الخاصة المتجمّعة ض... بعد يأس المجلس الأعلى من ان يحرز ولو جزءاً صغيراً من الحصة الممنوحة للطوارئ في البرلمان والحكومة اللبنانيين مو... على منافسه في ابداء ضروب الولاء والمماشاة.
والراهن انه منذ احكام السيطرة السورية بعد سحق حركة ميشال عون، خفت درجة التوتر العلني بين الحزبين، اذ انضبط الج... فرِحاً بحصته، والآخر قانعاً بانعدام حصته من دون ان يحول ذلك دون استمراره في المنافسة على طلب الود ما دامت الخيارات ...
وقد لاحظ مؤخراً بعض المراقبين ان اتجاهاً يتبلور في "سياسة" دمشق اللبنانية يمكن ان يُرَدّ اليه السبب الأهم وراء الوحد... "ضرورة" بعث، او تنشيط، الاحزاب "الوطنية" و"العلمانية" ذات الحضور التاريخي بين المسيحيين. فهي، من جهة، تواز... كان مطلوباً سحبها، في الحد الممكن، على ميدان المقاومة في الجنوب ايضاً، فلا يحتكر الحزب، ذو الهوى المختلط الايراني... الجهة الاخرى، وفي المجال المسيحي، تتحسّب لكل تقدم اضافي يمكن ان تحرزه "القوات اللبنانية" انطلاقاً مما تحقق لها في هذه الاحزاب أن يساعد على الوصول الى بيئات شبابية وجامعية لم ينجح الوجود السوري تماماً في ارساء مواقع له داخلها.

وما دام ان تجربة التعايش الدمشقي مع حزب الله لم تتسبب في اثارة اي قلق، بالنظر الى تركيبة الحزب نفسه والى استكانة الو... مع حزب قومي، او شيوعي، ان يأتي بغير الفرح العميم على الجميع؟
هنا، في التاريخ القومي السوري، قريبه وبعيده، يكمن بيت القصيد. فالحزب، منذ اعدام زعيمه ومؤسسه انطون سعادة، ليلة مبرر لاستمراره يعوّض به ضعف الجاذب الاستقطابي لفكرة "الأمة السورية" وفي عدادها قبرص. فقد تضاءل دوره على والمحاولات العسكرية الفاشلة غير تعميق المأزق. والسجل، بهذا المعنى، حافل وغني بالدلالات.
ففي العام الذي قتل فيه سعادة، شارك ضباط قوميون صغار في الانقلاب على حسني الزعيم الذي سلم زعيمهم الى قاتليه، وكان... مناصريه في الجيش السوري قبل ان يقلّده البعث فيبزّه مهارة وتلاؤماً مع الظروف العامة.

اكثر رجالات السياسة في سورية الخمسينات اهتماماً بدور الجيش ورعاية له، بعدما كان اول سياسييها انتباهاً الى أهمية تطو
اما الثاني فكان اديب الشيشكلي الذي انتمى الى الحزب ايضاً، وشارك في اطاحة حسني الزعيم بصفته هذه. الا انه بعد و
للقوميين في 1951، والسماح لهم باعادة اصدار صحيفة تنطق باسمهم، انفصل عنهم وأسس حزبه "العربي" الخاص وديكتات
الا بانقلاب 1954.

وقد أشارت محنة القوميين مع الشيشكلي، بعد محنتهم مع حسني الزعيم، الى المسار البائس الذي راحت التطورات تزيده بؤس
ايلول سبتمبر 1953، لم يحصل الحزب الا على مقعد واحد، وكانت انتشرت اشاعات تقول انه يتلقى مساعدات اميركية، ما أس
1954 فحظي بمقعدين فقط بينما رسب عصام المحايري، وجهه الأبرز في دمشق. وبدوره نال البعث في الانتخابات عينها 7
الأولى من ايصال امينهم العام، خالد بكداش، الى البرلمان.

وفي لبنان الاكثر تسامحاً حتى ذاك الحين من سورية، والأقلّ تعرضاً لعصف الصعود العروبي واليساري، اتيح للقوميين ان يشار
في "الانقلاب الأبيض" على الرئيس بشارة الخوري، مع أنهم كانوا، في تموز 1951، قد اغتالوا رئيس حكومته رياض الصلح
شمعون الذي انتخب في 1952 وأعطاهم ترخيصاً بالعمل الشرعي، لم يثمر هذا التحالف اكثر من نيلهم مقعداً نيابياً واحداً عن دا
وإذا كان نائل المقعد رئيس الحزب آنذاك أسد الأشقر، فالمعروف ان الدائرة المذكورة احدى القلاع التقليدية لنزعة التشدد المس
يومذاك.

وفي هذا المعنى لم يكفّ الحزب منذ اعدام زعيمه، عن الاحتماء بطرف رسمي، او عصبي وأهلي، ما. ينطبق هذا على عمله في

فقبل ان يلتحق بحكم شمعون في بيروت، التحق في دمشق الخمسينية بالقوى المناهضة للناصرية، كـ"حزب الشعب" ومؤيد
في محاولة انقلابية دعمها العراق الهاشمي، لا سيما الوصي عبدالإله، ضد حكم التحالف اليساري - العروبي الذي تلا ابعاد الش
انهائه تماماً في دمشق المتجهة الى التقارب مع القاهرة وموسكو. وفي موازاة ذلك، وبحسب احصاء لبيب زويّا يَمَق الذي درس
تأسيسه، ما بين الاحتفاظ بكلمة "اجتماعي" او عدم ذكرها، والاحتفاظ بكلمة "سوري" او شطبها.

وفي السياق هذا ترددت اسماء ضباط سوريين، قوميين سوريين، عرفوا بأدوار ملتبسة. فأبرز عسكريي الحزب، غسان جدي
الاميركية، قبل تسريحه من الجيش وهربه الى بيروت حيث اغتاله عميل للمخابرات السورية. وقد ورد المعنى نفسه، في سياق
الدين ومراسلات بينه وبين جديد، آن كان الأديب اللبناني قيادياً في الحزب القومي. اما الضابط الآخر محمد صفا، فيبدو ا
الهاشمية في بغداد، حتى عُدّ صلة الوصل المالية والتسليحية بينها وبين المعارضين السوريين.

وفي أية حال تجمّع الحزب كله في لبنان، ليشارك، في 1958، في الدفاع عن عهد شمعون ضد الهجمة الناصرية انطلاقاً من
بانحيازه المسيحي داخلياً، والغربي خارجياً. وبعد ثلاث سنوات، وكان الحكم اللبناني الجديد قريباً من القاهرة، قام القوميون
الأردني يدعمها، مهجوساً آنذاك بالنفوذ الناصري وتغلغله في المشرق. وفعلاً هرب قوميون كثيرون، على اثر فشل الانقلاب، الى
لكنْ بعد اعوام قليلة، وفيما كانت الشهابية الحاكمة تستجمع ما وسعها من قوى مسيحية لاستخدامها في وجه معارضة متعا
السجون اللبنانية بموجب تسوية مع الادوات العسكرية للسلطة الحاكمة. هكذا اطلِق سراحهم في اوائل 1969، بعدما اثبتوا حس
العام السابق بتأييد مرشحي "النهج الشهابي" في الانتخابات العامة، في مواجهة لوائح "الحلف الثلاثي" للأقطاب الموارنة الم

اما بعد ظهور المقاومة الفلسطينية، ومن ثم اندلاع الحرب الاهلية - الاقليمية في لبنان بدءاً بـ1975، فانخرط القوميون في الح
فانتهوا مقرّبين جداً من المقاومة، ومن بعدها دمشق البعثية التي استخدمت الحرب ذريعة لتوسيع نفوذها اللبناني. على ان
جاءتا من غير مقدّمات فكرية او سياسية. فهو لم يتأثر بالجديد القومي الذي حملته الناصرية في الستينات الا ضدياً، كما لم ي

وقصارى القول ان اليسارية - القومية الناشئة التي تم تبنيها في مؤتمر ملكارت 1969، اقتصرت على مقالات تغلب عليها الـ
النهار" في بيروت، فكتب في هذا الاطار ابرز قادة الحزب اللبنانيين، اسد الأشقر باسم سبع بولس حميدان وعبدالله سعادة عبـ
الوقت الذي استمر قومي آخر هو هنري حاماتي، ينشر من خارج السجن مقالاته الأشد وفاء للنَفَس الاصلي والأكثر امتناعاً عـ
حاماتي مقالاته الانشائية هذه في كتاب حمل عنواناً دالاً: "جماهير وكوارث"، فتحول كتابه انجيلاً للشق الارثوذكسي بشبانه وشـ
لهذا كله طغى على "تحول" القوميين، طابع اداتي بادٍ هو بعض حطام المشروع الهيولي الذي نواه "الزعيم" اصلاً. وقد اتيح،
اغتيالات وتفخيخ "شهداء" مدروسي الشهادة، في ما عُرف في وقت لاحق بـ"المقاومة الوطنية" لاسرائيل، التي لم تُـ
القوميون ان ينافسوا "حزب الله" في العمليات الانتحارية، ولو فاقوه في تسجيل الشرائط المصورة للمنتحرين، وهم يعلنون، قبـ
للسياسة السورية والرئيس حافظ الأسد. ويبدو ان اسعد حردان، القومي والوزير الحالي، والذي تسلّم مسؤولية وزارية لله
قبضتها على لبنان ومجتمعه وسلطته السياسية، لعب دوراً اساسياً في النشاط هذا. وهو، مع انه لم يتسلم رئاسة الحزب، غدا
والذي لا تقاس بقوته قوة الرئيس الاحتفالي للطوارىء، علي قانصو. وكانت آخر علامات نفوذه الايعاز لقيادة الحزب بمنع
تناولت هذه الأخيرة التي يُصدرها القومي هنري حاماتي، حردان ودوره في الحكومة بالغمز.

على ان التاريخ والتربية الحزبيين يوضحان حقيقةً تكمن في خلفية الاستعددات الراهنة. ففي موازاة الانسداد السياسي المقر
مبكرين في تطوير البدائل العنفية التي تستبعد السياسة بقدر ما تُشهر عزلتها السياسية. فبعد اعدام "الزعيم" بسنتين جاء ا
سعادة واشاعةً لإحدى اكثر القيم تخلفاً وبدائية. بيد ان ذلك تم في مناخ الدعم الذي امّنه للحزب عهد الشيشكلي وحمايته للفار
كتابه "التيارات السياسية في لبنان"، ان الصلح سبق ان تعرّ ض لمحاولة اغتيال فاشلة في بيروت، بحيث خشي سامي الصلح
الى دمشق حيث اجتمع بأديب الشيشكلي، عله يحمل القوميين على الاقلاع عن تكرار محاولة اغتيال رياض، فوعده الحاكم الـ
في 1955، وإبان الالتحاق بالهاشميين، بأحد ابرز الضباط البعثيين في سورية، عدنان المالكي، ما شكّل محطة اساسية في ا
وعلى اثر اغتيال المالكي والذيول التي ترتبت عليه، انشق الحزب الى اقلية يتزعمها رئيسه حينذاك جورج عبدالمسيح، وأكثر
بالاغتيال دون الاكتراث بآثار عمل كهذا على الحزب في سورية. وفي 1982، وأيضاً في موازاة الالتحاق بدمشق، قضى رئيس
سورياً، بشير الجميل، على يد قاتل قومي هو حبيب الشرتوني. وأخيراً، لا آخراً، تولت مجموعة من القوميين في قبرص، سنة
جُهِّزت المجموعة التي قادها إميل غزالة، بصواريخ أرض جو لاستهداف الطوافة التي تقل قائد الجيش السابق الى قبرص، غـ
المحاولة قبضت على المجموعة، لتعيد الافراج عن أفرادها لأسباب لا تزال غامضة.

في المقابل، وفي ما خص مساهمة القوميين في المواجهات مع اسرائيل، عسكرية كانت ام عن طريق اعمال مقاومة مسلحة
كان هذا الشعور بالنقص قياساً بالعقيدة النضالية المتعالية، ما دفع اصحابه وبلا كلل الى تضخيم دور لعبه الراحل سعيد العاص
على تسمية راحل آخر هو سعيد فخرالدين الذي نسبه القوميون اليهم، "الشهيد الوحيد للاستقلال اللبناني".

بيد ان ذلك لا يصف اعمال العنف بشتى انواعها. فمنذ 1937 وبحسب رواية القيادي الحزبي جبران جريج، اعتقل العضو القو
سعد الذي اصبح لاحقاً نائباً وزعيماً ناصرياً، بتهمة القاء قنبلة في بستان يهودي هناك. وتطورت الامور والتقنيات نوعياً بعد
سلوك طريق خطف الطائرات والقيام بعمليات ضد مدنيين في العالم، برز قوميون لعبوا ادواراً نشيطة في المجال هذا، منهـ
والسوري كمال خير بك. ولئن ظهرت اشارات غير مؤكدة اوردها الباحث الاميركي دانيال بايبس وغيره الى علاقة ما بين القـ
البنا ابو نضال في شبابه، فالمؤكد ان جورج ابراهيم العبدالله كان، في شبابه ايضاً، قومياً سورياً.

وإذا ما اندرج ارهاب ارهابيي "حركة القوميين العرب"، وورثتهم في "الجبهة الشعبية"، في سياق أعرض، عربي ا
الامبريالية"، يحرّكه تنظيم يستطيع تثميره الى هذا الحد او ذاك، اختلف ارهاب القوميين السوريين. فهذا الاخير بقي فاقداً كل
ما خلا الثأر العاري حالة الصلح، و/ او تبادل الخدمات مع اطراف مؤثرة حالات المالكي والجميّل وعون، ثم العمليات الانتحارية.

وفي ما خص يومنا هذا، يرى بعض القوميين السابقين أن المقاومة ليست ذات حيوية استقطابية داخل الحزب. فالقوميون غدوا
معه الى المقاومة. وهذا ما يفسر كيف أن عمليات "منظمة الزوبعة العسكرية" التي لم تؤت نتائج فعلية، لا تزال بالغة الشكلية.
وفي الحدود هذه ظهر دائماً ارهاب القوميين اقرب الى الارهاب الصغير لا ارهاب الحركات العنفية الكبرى عشية اقترابها من الد
تصاحب، في النازية، قدر كبير من التوكيد العقائدي ونزوع "عملي" لا يهمه في آخر المطاف الا الحرص على استمرار "
نموذجية في المجال هذا. فحينما اضحى القول بپ"الأمة السورية" مجرد لغو لا مكان له حتى في الخرافة السياسية، وجفّت مص
الاربعينات والخمسينات يتوجهون اليه، وتقسّم الحزب نفسه ثلاثة احزاب عبدالمسيح، الطوارئ، المجلس الأعلى، بات الامّحا
اداتية لها، الوسيلة الوحيدة للبقاء على قيد الحياة.

والحال ان الاكثرية التي اصبحت هي "الحزب" الاساسي بعد طرد عبدالمسيح وانشقاقه، تعرضت بدورها للانشقاق مع حرب
مهجوس هو الآخر بالزعامة. وقاد وسيم زين الدين، في آذار مارس 1975، شطراً من رفقائه في اتجاه "العودة الى سعادة
املتها الخطابية الشعبوية والتحالف مع احزاب اليسار والمقاومة الفلسطينية. وإذا عُرف هذا التيار، الذي وجد غطاءه في الو
اقرب الى المخابرات السورية منه الى امن منظمة التحرير، فإن العكس كان يصحّ في الطرف الآخر. وعلى اية حال فبعملية ا
السوريون توحيد الحزب بعد اقل من سنتين على دخولهم لبنان اواخر 1976 واخضاع المقاومة الفلسطينية لهم.

بيد ان الانشقاق ما لبث ان تجدد في كانون الثاني يناير 1987، واكتسب ضراوة عنفية تخللتها اعمال تصفية جسدية بين الر
وعن الانشقاق هذا تفرّع قوميو هيئة "الطوارئ" الحزبية ذوو الصلات النقية بالاجهزة السورية، وقوميو "المجلس الاعلى"
كافحوه بالمزايدة اللفظية في تأييد المواقف السورية، وانتقال بعض قادتهم للاقامة في دمشق.

وفضلاً عن الفوائد العائدة على الحزب نفسه، بدا البقاء على قيد الحياة لصالح "الشام" ايضاً، هي التي خبرت قدرة القوميين
الكبير. فهم استطاعوا الانعطاف عن العلمانية البسيطة والجامدة الى الضلوع في حرب طائفية، ثم استطاعوا ان يستأنفوا، ـ
لفظية علمانية لا تتعدى هيكلها العظمي. هكذا اشتبكوا مع "حزب الله" في مشغرة، ومع "حركة التوحيد الاسلامي" في شمال
المواجهات الموضعية حيث صب الطابع الاسلامي في المواجهة الوطنية العامة، وانتهى الخِراجان في مكان واحد.

ولما لم يندرج العنف القومي في اية "اممية" يمينية، بل ترافق، على العكس، مع تحول القوميين العشوائي الى يسارية غام
المجانية وقدرٌ آخر مساوٍ من تبادل الخدمات مع القادرين على اطالة العمر والأمَد. وبنتيجة العلاقة هذه، لم ينقطع حبل تمثيل
تشكلت في لبنان منذ استكمال اخضاعه لدمشق، كما بات للحزب كتلة برلمانية دائمة وكبيرة نسبياً، حل احد اعضائها غسان
شغر بوفاة بيار الجميل، مؤسس حزب الكتائب وأحد اقطاب طائفته التقليديين.

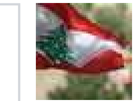
وكيما يعود ويستجمع لنفسه طابعاً مسيحياً يليق بالتمثيل الذي أُعطي له ويفرّغ في الآن نفسه طاقته الثأرية، حاول الحزب،
ولغته، العودة الى مناطق مسيحية تشكل عودته اليها استفزازاً كبيراً لأهلها. وهذا ما شهدته تحديداً بكفيا، وهي بلدة آل الج
ملاصقاً لبيت الكتائب، فسبّب الأمر اشكالات عدة استقووا فيها بنفوذهم الكبير، وانكفأت الأطراف الكتائبية والأهلية بما يلائم
نفسه أقام الحزب، قبل اشهر، مهرجاناً ضخماً في منطقة سن الفيل، في ذكرى سناء محيدلي التي سقطت في عملية ضد الإسر
سن الفيل بأي ولع بها. وحشد الحزب لمهرجانه من جميع المناطق، وقيل إن حافلات سورية نقلت بعض المشاركين، فيم
واضحة. فالرغبة في اقحام مناطق السكن المسيحي في "أعراس المقاومة" مستمدة، أولاً وأساساً، من دورٍ يتعدى الحزب وإن
لكنْ ظل المثير للاستغراب دائماً ان الحزب غير قائم في سورية نفسها، هي التي تحرص بشدة على دوره في لبنان. ولما كانت د
تتعارض مع الدعوة البعثية الحاكمة في دمشق الى "الأمة العربية"، غدا القوميون يتستّرون على شيء لا يقل عن علّة وجوده
بياناتهم وتصريحات قادتهم: "امتنا والعالم العربي"، غير متجرئين على تسمية الأمة هذه او وصفها!

ويغدو طبيعياً، من ثم، ان يسري التذويب العقائدي على مسائل أقل أهمية في التبويب الحزبي للأهمية. فالزواج المدني الذي أعد
المجلس النيابي، أُدخِل، بدوره، في التجاذبات اللبنانية المرعيّة اقليمياً. وفور انتهاء الوظيفة المرسومة، تخفف الحزب من اعباء

يُستغرَب، والحال على ما هي عليه، ان تكون تقوية الحزب بتوحيده مطلوبة ومرغوبة، فيما لا يفعل التردي اللبناني العام غير تز

انقر هنا لقراءة الخبر من مصدره.

التعليقات: 0



إضافة تعليق...

مواضيع ذات صلة



- رياض الصلح في زمن أحمد بيضون: السياسي المتحول والانتقالي بين عروبة أولى ولبنانية تجريبية
- تحدي الناصرية والشهابية وتفجر الطبقات والطوائف داخل الجسم الواحد
- البدايات الأولى: دمشق والجامعة الأميركية ببيروت ومقاصد صيدا الإسلامية
- تحالفات «حزب الله» في مهبّ انتفاضة تجاوره
- عجيب! القوميّون السوريّون أيضاً!